ولماذا أحبك؟

القهوة عشيقة الصباح .. حليفته العتيدة وصديقته الأقرب لقلبه .. تأتي قهوة الصباح حبيبة ورفيقة تزيل ما تبقى من عكار ليل الأمس الذي ذهب تاركاً بعض غبار من ذكريات رحلت وبعض أفكار قد تكون قد ألمت بنا حتى رحنا في النعاس وراحت هي معنا للأحلام .. تأتي قهوتي الصباحية كهدية من الصباح كي أستفيق وأقاوم بقايا الأمس الصعب وكي أدرك أنني لازلت حية أقاوم .. ليست فقط المقاومة ولكن أيضا الشعور بالقدرة على الفوز على الحياة في معركتي القلبية بها.

فاجئتّني اليوم وأنا أحتمي بقهوتي من نعاس الصباح بسؤال اخترق سماعة الهاتف الى قلبي "ولماذا تحبينني؟!".

تسمرت يدي الممسكة بسماعة الهاتف ووجدتني ابتسم في حنان وربما في سخرية فذلك سؤال لم أتخيل أن تسألني اياه ولم أتخيل أني مضطرة لإجابته يوماً ما .. عادت حرارة الكلمات للساني بعد

لحظات من الصمت وقلت لك "أحبك وفقط .. وهل يُسأل الماء لماذا هو يروي .. وهل تُسأل الشفاة لماذا هي تحن بالقبلات على جبين طفل ملأ الكون جمالا وحباً؟ هل بإمكاننا التساؤل لماذا تشع الشمس دفئاً وحباً ..أو القمر لماذا يظهر جميلاً مبهجاً ثم يغيب حزيناً فاقداً .. تلك أسئلة في غير محلها .. وكذلك سؤالك .. فأنا فقط .. أحبك".

سعى صوتك لأذني هاتفاً "يالكِ من مراوغة" فضحكت منكرة "انني لا أعلم حقاً .. ولو علمت .. لتركت .. لما كان حباً من الأصل" هو فقط ذاك الانجذاب الأحمق المجنون وتلك النبضات المشجونة التي تهرع هاربة من قلبي الى قلبك .. هو فقط ذاك اللهف الذي يجذبني خلفك بلا مقاومة مِني ولا قوة.

استسلمتَ لحسمي وتركتني أكمل قهوتي وحيدة مع أفكاري .. ابتسمت كثيراً لسؤالك رغم تعجبي .. ما بال هذا الرجل يسأل أسئلة وجودية مستحيلة الاجابة .. هل يعلم أحد كيف خُلقت القلوب بالأحشاء وكيف تدفقت دماؤها لتحيينا منذ بدء الخليقة؟ وهل يعلم أحد لماذا يأخذ القمر نوره من الشمس؟ وهل يعلم لماذا نتدله حباً في القمر ويتبدل موقفنا من الشمس صيفاً

وشتاءاً؟ هل يعلمون لم نحب البحر ونخشاه .. ولمَ تأتي الرياح من الشرق او الغرب او لماذا نعلم أن الموت حق وننكره أحيانا ونخشاه حد الموت؟!! لو علمت اجابات تلك الأسئلة لعلمت اجابة سؤالك "لماذا أحبك" فأنا يا صاحب المقام الأعلى بقلبي استيقظت ذات صباح وأدركت أنني فقط أحبك .. كيف ومتى ولماذا؟ لا أعلم .. أدركت أن عيناك المشعتان تبثان في قلبي الحياة وأن عقلك هو ميزان الصواب وطوق النجاة وأن ما تراه هو الحقيقة وأن ما ترسمه هو الطريق .. أركت أنك العالم والسماء والأرض والبحر والنهر العذب .. أدركت أنك أوراق الخريف وأزهار الربيع ونسمات الشتاء ولفحات الصيف الحارة .. أنك نعيم الجنة والخلود وأنك العذاب في أوجع صوره.

ولماذا هو الحب الذي يزلزلنا؟ ويشعرنا بالإختلاف .. يوردنا موارد الجنة أو الهلاك؟ تظل أنت .. القوي المسيطر على كل أمور حياتك .. تعرف ماذا تفعل وكيف .. تدرك الكتف من أين تؤكل حقاً .. حتى يأتيك هذا الضيف المفاجئ بلا انذار وبلا دعوة ولا أسباب .. يعيدك لحقيقتك الداخلية التي لطالما أخفيتها عن الجميع وربما عن نفسك .. فقط بشر .. إنسان .. تحتاج للحب

وللطبطبة وللإحتضان ربما أكثر من الأطفال .. تحتاج للإحتواء كأضعف الضعفاء وتستطيع منحه بذات الوقت كأقوى الأقوياء .. إنه الحب .. مصدر اللذة الجنونية والسعادة الفائضة أوالوجع الممتد إلى ما لانهاية وكلُ وقدره .. أدركت أنا أنك سكنت قلبي فقط ولن تبرحه أبدا!!!.

***